

سأتناول في هذه الرسالة القصيرة مسألتين: الأولى تتعلّق بالاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين، والثانية تتعرّض للجانب العلمي أو الأكاديمي للجامعات الفلسطينية وبخاصّة جامعة بيرزيت. فأما المسألة الأولى فتختص باحتلال إسرائيل أجزاء واسعة من فلسطين سنة 1948م، وقد عُرف ذلك في التاريخ الفلسطيني الحديث بـ (النكبة)، أعقبته بتشريد قسري، ونفي حوالي (710000) من أصل (900000) فلسطيني عن وطنه وأرضه وبيته خارج حدود الزّمان والمكان ليعاني القهر والظلم والفقر، والعيش في مخيمات اللاجئين داخل فلسطين وخارجها تحت خيام لا تقيه حرّ الصيف أو برد الشتاء، ثم أكملت احتلالها لبقية الأراضي الفلسطينية متمثلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشريف سنة 1967م فيما عُرف بـ (النكسة)، ومارست بحق السكان الفلسطينيين كل أشكال الممارسات التعسّفية والتمييزية القاسية، ولكي تكتمل حلقات التضييق أصدرت قانوناً أطلقت عليه (قانون أملاك الغائبين)، يحق لها بموجبه مصادرة الأراضي، والتصرّف الكامل بنقل أملاك الفلسطينيين الذين هُجّروا قسراً من أراضيهم بحجة غيابهم عنها.

واكب ذلك كلّه تسابق قادة إسرائيل في التحريض على الشعب الفلسطيني، وأن أفضل فلسطيني حسب قولهم هو الفلسطيني (الميت)، أو تجريده من إنسانيته بوصفه من (أولاد الأفاعي والحيات) أثناء الانتفاضة الأولى في سنة 1987م، أو تصريح رئيسة وزراء إسرائيل كذباً (غولدا مائير) من أنّه (ليس هناك فلسطينيون، إنهم لم يوجدوا أصلاً)، والغريب في هذا التصريح أنّها تتناقض مناقضة صارخة نصوص العهد القديم التي تشير أكثر من (253) مرّة إلى وجود الفلسطينيين بوصفهم (سكان الأرض) أي أرض فلسطين أو أرض كنعان، قبل أن تطأها أقدامهم بمئات السنين قبل الميلاد.

وقد وصلنا في هذه الأيام إلى وحشية لغويّة من نوع آخر تصف الشعب الفلسطيني بعامّة، وسكان قطاع غزة بخاصّة بأنهم (حيوانات بشرية)، وقد باتت هذه الهستيريا اللغويّة تسيطر على مواقف المسؤولين الإسرائيليين وتصريحاتهم؛ لتسويغ ما أطلقوا عليه (السحق والمحق) لكل ما هو فلسطيني، وهذا في حقيقته ممارسة عمليّة للقتل المجاني بحق السّكان المدنيين، يندرج في القانون الدولي تحت مسمّى جرائم الحرب، والتطهير العرقي في انتهاك صريح لكلّ الشرائع والقوانين الإنسانية والحقوقية، وهي بهذا تمنح العالم سردية جديدة -حسب رؤيتها- تبعد عنها مقام الاحتلال إلى (إبادة الحيوانات)، وللأسف دعمت كثير من الدول هذه السردية وناصرتها بطائراتها وبارجاتها وأساطيلها الحربيّة لأسباب نعرفها جميعاً، كما روّجت معها كثيراً من الأكاذيب والافتراءات باختلاق شائعات تتحدّث عن قتل الفلسطينيين للأطفال، أو حرقهم، أو قطع رؤوسهم، علماً بأنّ إسرائيل لم

تستطع أن تثبت حالة واحدة من ذلك، أو تعطي الدليل على تحققها في الواقع، ثم ظهر الزيف أو التضليل جلياً بتقديم الاعتذارات المتوالية ممن تبني هذه الأكاذيب.

أنتجت الوحشية اللغوية الإسرائيلية كوارث وجودية بحق سكان غزة الذين يدافعون عما تبقى من وجودهم وأرضهم، كما يدافعون عن إنسانيتهم وكرامتهم وتحررهم الوطني، بالرغم من أن كل شيء في غزة اليوم (يحترق) ويشاهده العالم عبر الإعلام ووسائل الاتصال الاجتماعي وغيرهما، فضلاً عن ممارسة الاحتلال الإسرائيلي قطع شريان الحياة (الماء)، وشمس الحقيقة (الكهرباء)، وضوء المعرفة (الإنترنت). لقد دافعت كثير من الأمم عن أرضها وحققها في التحرر والحياة الإنسانية الكريمة، واحتسب دفاعها مقاومة مشروعة باستثناء الشعب الفلسطيني الذي توصف مقاومته بـ (الإرهاب) فيا لها من ازدواجية معايير باطلة وممقوتة، ثم أليس من حق الشعب الفلسطيني الذي يُسفك دمه وتُهدم بيوته على رؤوس الأطفال والنساء وكبار السن منذ (75) سنة أن يقاوم ويدافع عن أرضه؟، يضاف إلى ذلك الاستهتار واللامبالاة بالدم الفلسطيني المسفوك ظمناً وعدواناً في مخيمات غزة وأحيائها وشوارعها.

وأما المسألة الثانية فتعرض للجانب العلمي أو الأكاديمي للجامعات الفلسطينية وبخاصة جامعة بيرزيت بوصفها نموذجاً أو مثلاً على حال الجامعات الفلسطينية الأخرى، وأوجز ذلك في النقاط الآتية:

1- استهدف القصف الهجمي لطائرات الاحتلال الإسرائيلي مبنى الجامعة الإسلامية في غزة بتاريخ 2023/10/9م، ما أدى إلى إلحاق إضرار بالغة بالمختبرات والتجهيزات العلمية والأثاث في مباني: كلية تكنولوجيا المعلومات، وعمادة خدمة المجتمع، والتعليم المستمر، وكلية العلوم. وقد أصدرت إدارة جامعة بيرزيت بياناً جاء فيه أنها تدين هذا الاعتداء الذي يشكل حلقة في سلسلة حلقات اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي بحق شعبنا الفلسطيني عامة، ومؤسساته التعليمية خاصة، ويُعد انتهاكاً صارخاً لكافة القوانين والأعراف والمواثيق الدولية التي تُجرّم انتهاك حرمة الجامعات والمؤسسات التعليمية وتدميرها، والذي يتناقض مع دورها كقوة قائمة بالاحتلال ويحملها المسؤولية الدولية بموجب أحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني.

2- أصيبت الحياة العلمية ومنها الأكاديمية في قطاع غزة بالشلل التام نتيجة العدوان الإسرائيلي، وبحث الناس عن أماكن آمنة بعد قصف بيوتهم وهدمها على رؤوسهم، أو للبحث عن

- أقربائهم في المستشفيات أو تحت الهدم، أو لملمة أشلائهم لإكرامهم بالدفن حفاظاً على كرامتهم الإنسانية، وكذلك بسبب قطع شرايين الحياة: الماء والكهرباء والإنترنت.
- 3- اقتصر التعليم في كلّ الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية بعد العدوان الإسرائيلي على المدنيين في قطاع غزة على التعليم الإلكتروني (عن بُعد)، حفاظاً على حياة الطلبة والأكاديميين من استفزاز جيش الاحتلال والمستوطنين الذين يطلقون الرصاص لأنفه الأسباب، أو على الأقل خشية من التعرض الجسدي العنيف لهم.
- 4- امتنعت حكومة الاحتلال الإسرائيلي وسفاراتها في الخارج في السنوات الثلاث الأخيرة عن منح تأشيرة دخول إلى الضفة الغربية لعشرات من أعضاء الهيئة الأكاديمية العاملين في الجامعات الفلسطينية الذين يحملون جوازات سفر أجنبية، مما أدى وبشكل مفاجئ في البداية إلى نقص في الكادر التدريسي.
- 5- قتل الجيش الإسرائيلي (28) طالباً من طلبة جامعة بيرزيت وحدها بين الأعوام 1984-2017م، مما جعلها تُعرف باسم (جامعة الشهداء).
- 6- تعتقل قوات الاحتلال الإسرائيلي من حين لآخر ولفترات قد تطول أو تقصر أعضاء من الهيئة الأكاديمية، وكذلك من طلبة الجامعة أو مجلس طلبتها، فقد اختطفت وحدة المستعربين في قوات الاحتلال الإسرائيلي رئيس مجلس الطلبة من داخل حرم الجامعة بتاريخ 2018/3/7م، وكذل اختطفت أعضاء مجلس طلبة جامعة بيرزيت عند دخولهم صباحاً البوابة الرئيسيّة للجامعة في يناير 2022م، كما اعتقلت عدداً منهم بتاريخ 2023/9/24م، حتى وصل عدد المعتقلين من الطلبة (171) طالباً في عام 2023/2022م، منهم في الاعتقال حتى الآن (70) طالباً، أمّا الإصابات فهي كثيرة لا تكاد تُحصى.
- 7- اعتادت قوات الاحتلال الإسرائيلي على اقتحام الجامعات الفلسطينية قسراً وتحت تهديد السلاح ومنها جامعة بيرزيت، وعادة ما تترك وراءها مبنى مجلس الطلبة أو غيره بعد اقتحامه خراباً.
- 8- تمنع حكومة الاحتلال كثيراً جداً من دور النشر العربية والأجنبية أثناء عقد معرض الكتاب الفلسطيني مرّة في كلّ سنة من المشاركة لأسباب لا نعرفها، ما قد يؤدي إلى عدم مواكبة التطور العلمي، أو تراجع البحث العلمي، وبالرغم من ذلك وجدنا في السنوات الثلاث

الماضية (7) من أعضاء الهيئة الأكاديمية في جامعة بيرزيت قد صنّفوا كأفضل (100) باحث على مستوى العالم.
9-تضرب إسرائيل حصاراً مشدداً على إدخال بعض الأجهزة والمواد الخام لمختبرات الجامعة بغرض استعمالها في التعليم أو إجراء أبحاث علمية.

وتقبّلوا وافر الاحترام والتقدير

د. إبراهيم نمر موسى
جامعة بيرزيت